الحياة الطيّبة
السنة 25
العدد 47
خريف 2021
أبحاث ودراسات

بطون الآيات القرآنيّة بين الأصوليّين والمفسّرين

الشيخ ميسّر الدياب[1]

مُستَخلَص:

يتميّز كلام القرآن بأنّه راعى المستويات المتفاوتة للعقول؛ فلم يخاطب كلّ مستوى من المستويات المتفاوتة بخطاب خاصّ، بل خاطب الجميع بكلام واحد ذي مستويات متدرّجة ومتنوّعة، وهنا تكون الدلالة الظاهرة في أدنى مستوياتها والدلالة الباطنة في أعلاها.

كما يزخر تراثنا الروائيّ بجملة من الروايات التي تؤكّد الدلالة الباطنة للقرآن، فقصدنا أمّهات الكتب الروائيّة للتفتيش عن الروايات المثبتة لبطون الآيات القرآنيّة، ثمَّ نقلنا رأي علمائنا بالتواتر الإجماليّ لهذه الروايات، مع تعليقنا على كلّ رواية، ومحاولة استخلاص معنى البطن الذي أشارت إليه كلّ رواية من هذه الروايات.

على أنَّ هذا الموضوع قد شغل حيّزًا كبيرًا من تفكير علماء أصول الفقه والمفسّرين للتعرّف على ماهيّة البطون، وبالتالي بدأ علماء أصول الفقه ببحث هذا الموضوع ضمن دراستهم لمسألة استعمال اللفظ الواحد في أكثر من معنى؛ ولذلك استعرضنا آراء علماء أصول الفقه في هذا الموضوع، منوّهين إلى السمات التي يتميّز بها كلّ رأي من هذه الآراء، وموضع

(1) باحث في الفكر الإسلاميّ، من سوريا.

الاشتراك والافتراق عن آراء الأصوليّين، وكان هدفنا من هذا الوصول إلى أصحّ الآراء وأمتنها في طبيعة البطون وماهيّتها في القرآن الكريم.

بعدها استعرضنا آراء علماء التفسير في الموضوع نفسه، متّبعين المنهجيّة السابقة نفسها المتّبعة مع الأصوليّين، ثمَّ ذكرنا استطرادًا آخر جمعنا من خلاله الروايات التي يرى المفسر أنَّها من قبيل البطن للقرآن الكريم. وبالتالي كان هذا الاستطراد بمثابة تطبيق عمليّ من قبل المفسِّر لرأيه النظريّ في ماهيّة البطون في القرآن الكريم.

كلمات مفتاحيّة:

بطون القرآن، وحدة اللفظ وتعدّد المعنى، التأويل، الجري، التطبيق، الدلالة الباطنة.

مقدّمة:

من الواضح أنَّ القرآن كتاب هداية ونور يتيسّر فهمه لمعظم الناس،ولا سيّما في مستوى دلالته الظاهرة، فالقرآن يحمل في خصائصه سمة الوضوح والقرب من الذهن، ولذا كان هدى ونورًا وتبيانًا لكلّ شيء، ولكنّ القرآن لم يستعمل أسلوبًا واحدًا في عرض الحقائق والمواضيع، فبمقدار ما كان واضحًا ضُمِّنَ وجوهًا وملامح مختلفة من العمق ومستويات متفاوتة للفهم، وهذا التفاوت في المستويات المعرفيّة لا يعقله إلاَّ من وقف على أبعاده المعرفيّة المختلفة، وفي تأكيد هذا الكلام توجد جملة من الروايات عن المعصومين (%) تعبِّر عن هذه المستويات بلفظ (البطون).

على أنَّ موضوع بطون الآيات القرآنيّة هو أحد المواضيع المهمّة التي طرحها العلماء على طاولة البحث، فقد وردت روايات عند الشيعة والسنّة؛ مفادها: أنَّ للقرآن ظهرًا وبطنًا، بل بطونًا.

ويتجاذب البحث في موضوع (البطون في القرآن الكريم) انتماءات عدّة، فهو من جهة ينتمي إلى علم التفسير؛ فالتفسير في تعريفه اللغويّ هو «كَشف المُراد عن اللفظ المُشْكل»، ومن جهة أخرى قد يُقال بانتمائه إلى علم الهرمنيوطيقا؛ لأنَّ الهرمنيوطيقا الحديثة ترى تعدّد المعنى الفعليّ الذي يُظهره النصّ، فالنصّ -برأيها- يحمل بعدًا ديناميكيًّا لتوليد المعاني، وهذا البعد يجعل النصّ مفتوحًا على عمليّة تفاعليّة مع المفسّرين الذين يختلفون ثقافة ومكانًا وبعدًا زمنيًّا عن زمان صدور النصّ. ومن جهة ثالثة قد يُقال بانتمائه إلى علم اللغة؛ لأنّه يتعلق بالمعاني التي تعبِّر عنها الألفاظ.

ولعلّنا لا نستغرب أن نجد علماء أصول الفقه قد بحثوا هذا الموضوع أيضًا؛ وبالتالي يمكننا القول إنّ هذا الموضوع يحمل انتماءً أصوليًّا أيضًا.

على أنَّ طبيعة الخطاب في القرآن تعدّ مسألة ذات أهمّيّة كبيرة، وقد اكتسبت في الآونة الأخيرة أهمّيّة إضافيّة؛ لأنَّها تأتي في سياق افتراض أنّ

طبيعة الخطاب القرآنيّ هي طبيعة خاصّة تنبني على لغة غير عرفيّة، سواء أتركّبت هذه الطبيعة من اللغة العرفيّة وغير العرفيّة، أم تميّز الخطاب القرآنيّ بأنَّ طبيعته تنبني على لغة غير عرفيّة.

من هنا يكتسب البحث في موضوع (بطون القرآن الكريم) أهمّيّته الكبيرة وقيمته الاستثنائيّة، وجرى النقاش والبحث بين العلماء في معرفة ماهيّة هذه البطون، فبحث علماء أصول الفقه هذا الموضوع أثناء دراستِهم لمسألة (استعمال اللَّفظ في أكثر من معنى)، وهي مسألة قديمة قد يكون أوَّل مَنْ بحثها السيّد المرتضى، ولكنَّه لم يتعرَّض لموضوع بطون الآيات، على أنَّه اقتُصِر في علاجها عند متقدّمي الأصوليّين على استعمال اللفظ المشترك في أكثر من معنى، ثمَّ جاء الشيخ الآخوند الخراسانيّ ليوسِّع البحث ليشمل استعمال اللفظ(مطلقًا) في أكثر من معنى، ثمَّ اعتاد الأصوليّون على البحث في ماهيّة بطون الآيات القرآنيّة ملحقة بهذه المسألة الأصوليّة.

وفي المقابل بحث المفسّرون والمهتمّون بعلوم القرآن في بطون الآيات القرآنيّة، للوقوف على سرّ اختصاص القرآن بهذه البطون، وتوافره على شموليّة المعنى، فهل يعود ذلك إلى كينونة القرآن وأنّه يتألّف من حقائق ذات مراتب متعدّدة تكمن وراء اللفظ، فلا يكون اللفظ إلاَّ التعبير الأخير عن تلك الحقائق أوقشرة ذلك اللُّب، أم أنَّ الذي ينشأ منه عمق القرآن وغور معانيه وثراء مفاهيم هو تعدّدها هواللفظ وكيفيّة استعماله وتركيبه، فتكون البطون والمعاني المترتّبة على بعضها هي من مقولة المفاهيم والتأويلات الذهنيّة التي تنبثق عن دلالة اللفظ وطبيعة التركيب، فيكون ممّا يحتمله اللفظ القرآنيّ ويكون أحد مدلولاته وتخضع عملية نيلها، ووضع اليد عليها إلى بذل الجهد العقليّ والنشاط الذهنيّ التأويليّ والاتصاف بحدّة الذكاء، وعمق التفكير وما إلى ذلك؟

من أجل الإجابة عن ما تقدّم عقدنا هذا البحث الذي يتألّف من:

بحث لغويّ عن لفظ (البطون)، ودراسة تحليليّة للروايات التي تثبت البطون للقرآن الكريم، ثمَّ عرض استقصائيّ لآراء أهمّ أصوليّي الإماميّة في الموضوع، ثمَّ آراء أهمّ مفسّري الإماميّة من خلال تفاسيرهم؛ والوقوف على الموارد التي أشار فيها هؤلاء المفسّرون إلى بطن الآية القرآنيّة التي يفسّرونها، بعدها استعراض للنتائج من خلال خاتمة لخَّصت زبدة البحث وخلاصته.

أوّلًا: البطن في اللغة:

قال الخليل: "البَطْنُ في كلّ شيءٍ خلافُ الظَّهر، كبَطْنِ الأَرْضِ وظَهْرها، وكالباطِنِ والظّاهر، وكالبِطانةِ والظِّهارة، يعني: باطن الثَّوب وظاهره، قال الله عزّ وجلّ: ﴿مُتَّكِـِٔينَ عَلَىٰ فُرُشِۭ بَطَآئِنُهَا مِنۡ إِسۡتَبۡرَقٖۚ﴾ (الرحمن: الآية 54). وفي بعض التَّفْسير: بطائنُها: ظَواهِرُها. وبِطانةُ الرَّجل: وَليجَتُهُ من القَوْم الذّين يُداخِلُهم ويُداخِلُونه في دُخْلة أَمْرِهم. وبِطانتُه: سَريرتُه. وكذلك يقال: أَهْل بِطانته،... والنِّعمةُ الباطنة: التّي قد خصّتْ، والظّاهرةُ: التّي عمّت، قال الله عزّ وجلّ: ﴿وَأَسۡبَغَ عَلَيۡكُمۡ نِعَمَهُۥ ظَٰهِرَةٗ وَبَاطِنَةٗۗ﴾ (لقمان: آية 20)"[1].

وجاء في لسان العرب: "البَطْنُ منَ الإنسان وسائر الْحَيَوَانِ: معروفٌ خِلَافَ الظَّهْر، مذكَّر، وَحَكَى أَبو عُبَيْدَةَ أَن تأْنيثه لغةٌ؛... وجمعُ البَطْنِ أَبطُنٌ وبُطُونٌ وبُطْنانٌ؛ التَّهْذيبُ... والبَطْنُ من كل شيء جَوْفُه، والجمع كالجمع، وَفِي صِفَةِ الْقُرْآنِ الْعَزِيزِ: لِكُلِّ آيَةٍ مِنْهَا ظَهْرٌ وبطْن؛ أَراد بالظَّهْرِ مَا ظَهَرَ بيانُه، وبالبَطْن مَا احْتِيجَ إِلَى تَفْسِيرِهِ كالباطِن خِلَافَ الظَّاهِرِ، وَالْجَمْعُ بَواطِنُ؛ وَقَوْلُهُ:

وسُفْعًا ضِياهُنَّ الوَقودُ فأَصْبَحَت ظواهِرُها سُودًا، وباطِنُها حُمْرا

(1) الفراهيديّ، الخليل بن أحمد: كتاب العين، لا م، دار الهلال، لا ت، ج7، ص439.

أَراد: وبواطِنُها حُمْرًا فوَضع الواحدَ موضعَ الْجَمْع، ولذلك استَجاز أَن يَقُولَ حُمْرًا، وَقَدْ بَطُنَ يَبْطُنُ. والباطِنُ: مِنْ أَسماء اللَّه عَزَّ وَجَلَّ. وَفِي التَّنْزِيلِ الْعَزِيزِ: ﴿هُوَ ٱلْأَوَّلُ وَٱلْآخِرُ وَٱلظَّٰهِرُ وَٱلْبَاطِنُ﴾؛ وتأْويلُه مَا رُوِيَ عَنِ النَّبِيِّ، صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ، فِي تَمْجيد الرَّبِّ: اللَّهُمَّ أَنتَ الظاهر فَلَيْسَ فوقَك شيءٌ، وأَنت الباطِنُ فَلَيْسَ دونَك شَيْءٌ، وَقِيلَ: مَعْنَاهُ أَنه علِمَ السرائرَ والخفيَّاتِ كَمَا عَلِمَ كلَّ مَا هُو ظاهرُ الخَلْقِ، وَقِيلَ: الباطِن هُو المُحْتَجِب عَنْ أَبصار الخلائق وأَوْهامهم فَلَا يُدرِكُه بَصَر وَلَا يُحيطُ بِهِ وَهْم، وَقِيلَ: هُو العالمُ بكلِّ مَا بَطَن. يُقَالُ: بَطَنْتُ الأَمرَ إِذَا عَرَفتَ باطنَه. وَقَوْلُهُ تَعَالَى: ﴿وَذَرُواْ ظَٰهِرَ ٱلْإِثْمِ وَبَاطِنَهُۥٓ﴾؛ فَسَّرَهُ ثَعْلَبٌ فَقَالَ: ظاهرُه المُخالَّة وباطنُه الزِّنا، وَهُو مَذْكُورٌ فِي مَوْضِعِهِ. والباطِنةُ: خلافُ الظَّاهِرَة"[1].

وقال جمال الدين الهنديّ صاحب كتاب مجمع بحار الأنوار في غرائب التنزيل ولطائف الأخبار: «لكلّ آية ظهر و«بطن». «الظهر» ما ظهر بيانه، و«البطن» ما احتيج إلى تفسيره. وقيل: ظهرها لفظها، وبطنها معناها، وقيل: قصصه في الظاهر أخبار، وفي الباطن عبرة، وقيل: الظهر التلاوة، والبطن التفهم»[2].

وبالتالي، فإنَّ المعنى اللغويّ للبطن يحمل معنى الخفاء والغموض.

أمَّا ما ذكره من أنَّ باطن الآية هو ما احتيج إلى تفسيره فهو المعنى اللغويّ فقط. وممّا يؤكّد المعنى الذي اخترناهما جاء في كتاب المفردات في غريب القرآن، حيث قال: «ويقال لكلّ غامض بطن، ولكل ظاهر ظهر؛ ومنه بطنان القدر وظهرانها، ويقال لما تدركه الحاسة ظاهر، ولما يخفى

(1) ابن منظور، محمّد بن مكرم: لسان العرب، لا ط، بيروت، دار صادر، لات، ج13، ص52.
(2) الهندي الفتّني، جمال الدين: مجمع الأنوار في غرائب التنزيل ولطائف الأخبار، ط3، لام، مطبعة مجلس دائرة المعارف العثمانيّة، 1967م، ج3، ص500.

عنها باطن. قال عز وجل: ﴿وَذَرُواْ ظَٰهِرَ ٱلۡإِثۡمِ وَبَاطِنَهُۥٓ﴾ - ﴿مَا ظَهَرَ مِنۡهَا وَمَا بَطَنَ﴾»[1].

وقال الشيخ الطبرسي موضحًا معنى الظهر والبطن في اللغة: وقوله تعالى: ﴿إِنَّهُمۡ إِن يَظۡهَرُواْ عَلَيۡكُمۡ يَرۡجُمُوكُمۡ أَوۡ يُعِيدُوكُمۡ فِي مِلَّتِهِمۡ وَلَن تُفۡلِحُوٓاْ إِذٗا أَبَدٗا﴾ تعليل للأمر بالتلطّف، وبيان لمصلحته. ظهر على الشيء؛ بمعنى اطلع عليه وعلم به، وبمعنى ظفر به. وقد فُسِّرت الآية بكلٍّ من المعنيين، والكلمة على ما ذكره الراغب مأخوذة من الظهر بمعنى الجارحة مقابل البطن، فكان هو الأصل، ثمّ استعير للأرض، فقيل: ظهر الأرض مقابل بطنها، ثمّ أخذ منه الظهور؛ بمعنى الانكشاف مقابل البطون؛ للملازمة بين الكون على وجه الأرض وبين الرؤية والاطلاع، وكذا بينه وبين الظفر، وكذا بينه وبين الغلبة عادة، فقيل: ظهر عليه أي اطّلع عليه وعلم بمكانه أوظفر به أوغلبه، ثمّ اتسعوا في الاشتقاق فقالوا: أظهر وظاهر وتظاهر واستظهر إلى غير ذلك.

ثانيًا: الروايات المثبتة لبطون القرآن الكريم:

لا بدَّ لنا بداية من استعراض الروايات التي تفيد أنَّ للقرآن ظاهرًا وباطنًا، وفي بعضها ظهرًا وبطنًا، ولاسيّما أنَّ علماء الأصول عندما بحثوا في موضوع بطون القرآن الكريم كانوا ناظرين إلى هذه الروايات:

1. الرواية الأولى: روى جعفر بن محمّد بن مسعود عن أبيه عن أبي عبد الله جعفر بن محمّد عليه السلام عن أبيه عن آبائه عليهم السلام، قال: قال رسول الله صلى الله عليه وآله: «**...فإذا التبست عليكم الفتن كقطع الليل المظلم، فعليكم بالقرآن، فإنّه شافعٌ مشفّع وماحلٌ مصدّق، من جعله أمامه قاده إلى الجنّة، ومن جعله خلفه ساقه إلى النار، وهو الدليل يدلّ على خير سبيل، وهوكتاب فيه تفصيل، وبيان وتحصيل، وهو الفصل ليس**

(1) الحسين بن محمد، أبو القاسم: المفردات في غريب القرآن، لا ط، لبنان، دار المعرفة، لات، ج1، ص52.

بالهزل، وله ظهر وبطن، فظاهره حكمة، وباطنه علم. ظاهره أنيق، وباطنه عميق، له نجوم، وعلى نجومه نجوم، لا تحصى عجائبه، ولا تبلى غرائبه...»[1].

تثبت هذه الرواية الظهر والبطن والظاهر والباطن للقرآن الكريم، وتصف الظاهر بأنّه حكمة، والباطن بأنَّه علم، وأنَّ هذا العلم عميق، وبالتالي فإنّ الظهر والظاهر والبطن والباطن من قبيل الألفاظ المترادفة حسب هذه الرواية.

2. الرواية الثانية: جاء في بصائر الدرجات: "حدثنا مُحَمَّدُ بْنُ الْحُسَيْنِ عَنْ مُحَمَّدِ بْنِ سِنَانٍ عَنْ عَمَّارِ بْنِ مَرْوَانَ عَنِ الْمُنَخَّلِ عَنْ جَابِرٍ عَنْ أَبِي جَعْفَرٍ عليه السلام أَنَّهُ قَالَ: **"مَا يَسْتَطِيعُ أَحَدٌ أَنْ يَدَّعِيَ أَنَّهُ جَمَعَ الْقُرْآنَ كُلَّهُ ظَاهِرَهُ وبَاطِنَهُ غَيْرُ الْأَوْصِيَاءِ"**[2].

هذه الرواية، فضلًا عن إثباتها لظاهر القرآن وباطنه، فهي تحدّد الذين يمتلكون هذا العلم، وتحصرهم بالأوصياء عليهم السلام فقط؛ وبقياس الأولويّة يكون النبيّ صلى الله عليه وآله على رأسهم أيضًا.

3. الرواية الثالثة: عَنْ جَابِرٍ، قَالَ: قَالَ أَبُو عَبْدِ اللَّهِ عليه السلام: **"يَا جَابِرُ إِنَّ لِلْقُرْآنِ بَطْنًا، وَلِلْبَطْنِ ظَهْرًا، ثُمَّ قَالَ: يَا جَابِرُ ولَيْسَ شَيْءٌ أَبْعَدَ مِنْ عُقُولِ الرِّجَالِ مِنْهُ، إِنَّ الْآيَةَ لَتَنْزِلُ أَوَّلُهَا فِي شَيْءٍ وَأَوْسَطُهَا فِي شَيْءٍ وَآخِرُهَا فِي شَيْءٍ وهُو كَلَامٌ مُتَّصِلٌ مُتَصَرِّفٌ عَلَى وُجُوهٍ"**[3].

تدلُّ هذه الرواية على أنَّ للقرآن أكثر من ظهر وأكثر من بطن، فتتولّد ثنائيّات الظهر والبطن؛ فلكل ظهر بطن يقابله، ولربما تدلُّ على أنَّ هذا

(1) أبي النضر العياشيّ، محمّد بن مسعود: تفسير العياشيّ، لا ط، طهران، المكتبة العلميّة الإسلاميّة، لات، ج1، ص2.
(2) الصفّار، محمد بن حسن: بصائر الدرجات في فضائل آل محمّد صلى الله عليه وآله، ط2، قم، مكتبة آية الله المرعشيّ النجفيّ، 1404هـ.ق، ج1، ص193.
(3) العياشيّ، تفسير العياشيّ، م.س، ج1، ص10.

العلم ليس من قبيل العلوم الكسبيّة، ولا يمكن الوصول إلى بطن القرآن بالاعتماد على العقل فقط، بل هو علم يهبه الله مَن يشاء من عباده.

4. الرواية الرابعة: عَنْ حُمْرَانَ بْنِ أَعْيَنَ عَنْ أَبِي جَعْفَرٍ عليه السلام، قَالَ: **"ظَهْرُ الْقُرْآنِ الَّذِينَ نَزَلَ فِيهِمْ، وَبَطْنُهُ الَّذِينَ عَمِلُوا بِمِثْلِ أَعْمَالِهِمْ"**[1].

هذه الرواية تتعرَّض لما هو المراد من الظهر والبطن، فظهر القرآن الذين نزل فيهم، وبطنه الذين عملوا بمثل أعمالهم.

وعبارة (الذين نزل فيهم) مجملة؛ لأنَّه قد يكون المراد منها الأفراد الذين كانوا ضمن أسباب نزول آية معيّنة، وقد يكون المراد من هذه العبارة جميع الناس الذين كانوا في زمن نزول القرآن، وهذا الفهم دليله أنَّ الرواية ورد فيها لفظ القرآن وليس الآية، فقد قال عليه السلام: **"ظهر القرآن الذين نزل فيهم"**، ولم يقل ظهر الآية الذين نزلت فيهم...

وبالتالي بناءً على ما ذكرناه أوّلًا يكون المراد من هذه الرواية الإشارة إلى قاعدة مهمّة في أسباب النزول؛ مفادها: أنَّ خصوص السبب لا يخصِّص الوارد، وبالبناء على ما ذكرناه ثانيًا يكون المراد بالبطن هوالإشارة إلى نظريّة الجري والتطبيق.

5. الرواية الخامسة: عَنِ الْفُضَيْلِ بْنِ يَسَارٍ قَالَ سَأَلْتُ أَبَا جَعْفَرٍ عليه السلام عَنْ هَذِهِ الرِّوَايَةِ:**"مَا فِي الْقُرْآنِ آيَةٌ إِلَّا وَلَهَا ظَهْرٌ وَبَطْنٌ وَمَا فِيهِ حَرْفٌ إِلَّا وَلَهُ حَدٌّ وَلِكُلِّ حَدٍّ مَطْلَعٌ"، مَا يَعْنِي بِقَوْلِهِ: لَهَا ظَهْرٌ وبَطْنٌ، قَالَ: "ظَهْرُهُ وَبَطْنُهُ تَأْوِيلُهُ مِنْهُ مَا مَضَى ومِنْهُ مَا لَمْ يَكُنْ بَعْدُ يَجْرِي كَمَا تَجْرِي الشَّمْسُ والْقَمَرُ كُلَّمَا جَاءَ مِنْهُ شَيْءٌ وَقَعَ. قَالَ اللَّهُ تَعَالَى:** ﴿وَمَا يَعۡلَمُ تَأۡوِيلَهُۥٓ إِلَّا ٱللَّهُۗ وَٱلرَّٰسِخُونَ فِي ٱلۡعِلۡمِ﴾**، نَحْنُ نَعْلَمُهُ"**[2].

فالمراد من البطن -حسب الرواية- هو التأويل.

(1) م.ن، ج.ن، ص.ن.
(2) م.ن، ج.ن، ص.ن.

6. الرواية السادسة: عَنْ جَابِرٍ قَالَ سَأَلْتُ أَبَا جَعْفَرٍ عليه السلام عَنْ شَيْءٍ فِي تَفْسِيرِ الْقُرْآنِ، فَأَجَابَنِي، ثُمَّ سَأَلْتُهُ ثَانِيَةً فَأَجَابَنِي بِجَوَابٍ آخَرَ، فَقُلْتُ: جُعِلْتُ فِدَاكَ كُنْتَ أَجَبْتَ فِي هَذِهِ الْمَسْأَلَةِ بِجَوَابٍ غَيْرِ هَذَا قَبْلَ الْيَوْمِ، فَقَالَ لِي:**"يَا جَابِرُ إِنَّ لِلْقُرْآنِ بَطْنًا، وَلِلْبَطْنِ بَطْنٌ، وَلَهُ ظَهْرٌ وَلِلظَّهْرِ ظَهْرٌ، يَا جَابِرُ وَلَيْسَ شَيْءٌ أَبْعَدَ مِنْ عُقُولِ الرِّجَالِ مِنْ تَفْسِيرِ الْقُرْآنِ، إِنَّ الْآيَةَ لَتَكُونُ أَوَّلُهَا فِي شَيْءٍ وَآخِرُهَا فِي شَيْءٍ وَهُوَكَلَامٌ مُتَّصِلٌ يَتَصَرَّفُ عَلَى وُجُوهٍ"**[1].

فالمراد من هذه الرواية المراد نفسهفي الرواية الثالثة، وقد يُقال: الروايتان في الأصل رواية واحدة هي السادسة، فللرواية السادسة صدر وذيل، وبالتالي تكون الرواية الثالثة هي ذيل الرواية السادسة فقط، أي الجزء من الأخير من الرواية الثالثة.

ولكن يمكن أنْ يضعَّف هذا القول؛ خاصّة وأنَّ ذيل الرواية السادسة لا ينطبق انطباقًا تامًّا على الرواية الثالثة، بل يزيد ذيل الرواية السادسة عن الرواية الثالثة بجملة "وله ظهرٌ وللظهر ظهرٌ"؛ وبالتالي الرواية تدلّ على تعدّد بطون القرآن الكريم، ومقابل كلّ بطن ظهر أيضًا.

وما يلفت النظر في الرواية السادسة هوصدرها الذي يشير إلى أنَّ جابرًا سأل الإمام عليه السلام عن تفسير آية ما، ثمَّ بعد فترة سأله عن تفسير الآية نفسها مرّة أخرى، فأجاب الإمام عليه السلام بجواب مختلف عن الجواب الأوَّل،لذلك ذكر جابر للإمام عليه السلام أنَّه كان قد أجاب في المرّة السابقة عن الآية نفسها بجواب آخر، فردَّ عليه الإمام عليه السلام بأنَّ للقرآن ظهرًا وبطنًا، بل بطونًا، ومقابل كلّ بطن ظهرٌ أيضًا.

والتأمُّل الدقيق في هذه الرواية قد يرجِّح احتمال أنْ يكون الإمام عليه السلام قد أجاب عن تفسير الآية في المرّة الأولى بالتفسير الظاهريّ لها، ثمَّ في المرّة الثانية أجاب بجواب أكثر عمقًا ودقّة من الجواب الأوَّل، لذلك بادر

(1) م.ن، ج.ن، ص.ن.

جابر بسؤال الإمام عليه السلام عن سبب اختلاف تفسير الآية الواحدة نفسها.

ولكن يبقى هنا سؤالٌ يحتاج إلى الإجابة؛ وهو: ما السبب الذي دعا جابرًا لأنَّ يعيد طرح الاستفسار عن آية كان أجاب عنها الإمام سابقًا؟ فإذا احتملنا أنَّ السبب الذي يتبادر للذهن هونسيان جابر للجواب، فإنَّ هذا الاحتمال يضعُف كثيرًا بعد ما ذكّره جابر من أنَّ الإمام عليه السلام كان قد أجاب سابقًا بجواب آخر مختلف عن الجواب الثاني. وهذا يشير إلى أنَّ جابرًا لم يكنْ قد نسي الجواب!

فالنتيجة النهائيّة هنا: إثبات البطون للقرآن الكريم عن طريق التواتر المعنوي الإجمالي[1]؛ وبالتالي لا داعي للبحث في أسانيد هذه الروايات، وثبت لنا أنَّ البطن والباطن هوعلمٌ وهبه الله للنبي محمد صلى الله عليه وآله وسلم ولأوصيائه عليهم السلام. وقد يكون المراد من البطن ماهوالمراد من قاعدة: أنَّ خصوص السبب لا يخصص الوارد، أو أنَّ المراد منه ما هو المراد من قاعدة الجري والانطباق، أو أنَّ المراد من بطن الآية هو المعنى الدقيق والعميق لها بالنسبة لمعنىً آخر أقلّ عمقًا ودقّة.

ثالثًا: استعراض آراء الأصوليّين في بطون القرآن:

بعد هذا الاستعراض للروايات التي تثبت البطون للقرآن الكريم، سوف نعمِّق البحث أكثر فأكثر من خلال الغوص في كلمات علماء الأصول بعد أنْ نظروا إلى هذه الروايات، وسنستعرض آراءهم في ماهيّة بطون الآيات القرآنيّة، وسيكون الهدف من عقد هذا المبحث هو الإجابة عن السؤال التالي: هل إنَّ المعنى الظاهر والمعنى الباطن للفظٍ واحدٍ هومن قبيل استخدام اللفظ في أكثر من معنى؛ كما هو حال استخدام اللفظ المشترك في معنيين مثلًا، فتكون دلالة اللفظ على المعنى الباطن بأحد الدلالات

(1) وهذا ما وصل إليه السيد الخوئيّ قدس سره. انظر: الفيّاض، محمّد إسحاق: المباحث الأصوليّة، ط1، لام، الناشر مكتب الشيخ الفيّاض، لات، ج1، ص219.

الثلاثة المعروفة (المطابقة- التضمّن- الالتزام)، أم أنَّ اللفظ لا يدلُّ على المعنى الباطن بأيٍّ من الدلالات الثلاثة المعروفة؟

لذلك ربط علماء الأصول بين مسألة استعمال اللفظ في أكثر من معنى؛ وهي مسألة بحثوها،وبين الظهر والبطن للقرآن الكريم، وقد اعتاد علماء الأصول -بعد البحث في إمكانيّة استعمال اللفظ في أكثر من معنى- على البحث استطرادًا عن البطون للقرآن الكريم الواردة في الروايات التي ذكرناها آنفًا.

1. رأي الشيخ الآخوند الخراسانيّ قدس سره:

قال الشيخ الآخوند الخراسانيّ بعد نظره إلى الروايات السابقة وغيرها: "لعلّك تتوهّم أنَّ الأخبار الدالّة على أنَّ للقرآن بطونًا - سبعة أو سبعين - تدلُّ على وقوع استعمال اللفظ في أكثر من معنى واحد، فضلًا عن جوازه، ولكنّك غفلت عن أنَّه لا دلالة لها أصلًا على أنَّ إرادتها كان من باب إرادة المعنى من اللفظ، فلعلّه كان بإرادتها في أنفسها حال الاستعمال في المعنى، لا من اللفظ، كما إذا استعمل فيها، أو كان المراد من البطون لوازم معناه المستعمل فيه اللفظ، وإن كان أفهامنا قاصرة عن إدراكها"[1].

وبالتالي فإنَّ الشيخ الآخوند يرى أنَّ المراد من البطون مردّد بين أمرين:

- الأوّل: معنىً مرافق للفظ، ولكن لايدلُّ اللفظ عليه بأيٍّ من الدلالات الثلاثة المعروفة لدلالة اللفظ على المعنى.

- الثاني: معنىً لازمًا للفظ لا يمكن لأفهامنا القاصرة أنْ تصل إليه إلاَّ بتوجيه من النبيّ صلى الله عليه وآله وآله عليهم السلام.

(1) الآخوند الخراسانيّ، محمد كاظم: كفاية الأصول، ط4، بيروت، مؤسّسة آل البيت لإحياء التراث، 1432هـ.ق، ص38.

2. رأي المحقّق العراقيّ قدس سره:

قال البروجرديّ مستعرضًا رأي المحقّق بعنوان (تنبيه): "قد يُقال: بأنّه كيف منعتم عن جواز استعمال اللفظ في أكثر من معنى واحد مع أنّه واقع في الكتاب العزيز على ما نطق به غير واحد من الأخبار بأنّ للقرآن بطونًا سبعة أوسبعين؟ ولكنّه يندفع ذلك بإمكان أن يكون المراد من البطون في الأخبار ما هو من اللوازم للمعنى المطابقيّ التي كان بعضها أخفى من بعض ولا يصل إليها عقولنا ولا يعلمها إلّا من خوطب به؛ إذ عليه لا يكون ذلك مربوطًا بمسألة استعمال اللفظ في المتعدّد كي ينتج للقائل بالجواز، ومع الغض عن ذلك نقول أيضًا: بأنّه يمكن أن يكون المراد من البطون هي المصاديق العديدة لمعنى واحد كلّيّ، التي تتفاوت في الظهور والخفاء، وعليه أيضًا لا يرتبط ذلك بباب استعمال اللفظ في المتعدّد؛ إذالمستعمَل فيه حينئذ لا يكون إلّا معنًى واحدًا كلّيًّا، غايته أنّه لذلك المعنى الكلّيّ مصاديق عديدة بعضها أخفى من بعض؛ بحيث لا تصل إليها عقولنا ولا يعلمها إلا النبي صلى الله عليه وآله والوصي والأئمّة من ولده عليهم السلام؛ لكونهم هم المخاطبين به، فباعتبار خفاء تلك المصاديق وعدم علمنا به عبّر عنها في الأخبار المرويّة عنهم عليهم السلام بالبطون، فتدبّر"[1].

3. رأي السيّد الخوئي قدس سره:

ردَّ السيد الخوئي على الأمر الأوّل الذي ذكره الشيخ الآخوند فقال: "ويردّه: أنَّه لوكان المراد من البطون ما ذكره قدس سره أوّلًا، لم يكن ذلك موجبًا لعظمة القرآن على غيره ولفضيلته على سائر المحاورات؛ لإمكان أن يُراد المعاني بأنفسها حال التكلّم بالألفاظ في غير المحاورات القرآنيّة، بل يمكن إرادتها كذلك حال التكلُّم بالألفاظ المهملة، فضلًا عن الألفاظ الموضوعة، فمن هذه الجهة لا فرق بين الكتاب وغيره، بل لا فرق بين اللفظ المهمل

(1) البروجرديّ النجفيّ، محمّد تقي: نهاية الأفكار، لا ط، قم، مؤسّسة النشر الإسلاميّ، لات، ج1، ص151.

والموضوع فالكلّ سواء، ولا فضل لأحدهما على الآخر. على أنَّ لازم ذلك أنْ لا تكون البطون بطونًا للقرآن ومعاني له، بل كانت شيئًا أجنبيًّا عنه، غاية الأمر أنَّها أُريدت حال التكلُّم بألفاظه، وكلا الأمرين مخالفٌ لصريح الروايات المشتملة على البطون، فهي كما نطقت بإثبات الفضيلة والعظمة للقرآن على غيره من جهة اشتماله على ذلك كذلك نطقت بإضافة تلك البطون إليه، وأنَّها معانٍ للقرآن لا أنَّها شيء أجنبيٌّ عنه. منها: "ما في القرآن آية إلّا ولها ظاهر، ظهر وبطن"...وما شاكلها من الروايات".

وقد اختار السيّد الخوئيّ الرأي الثاني للشيخ الآخوند فقال: "وأمّا ما ذكره قدس سره ثانيًا: من أنَّالمراد من البطون: لوازم معناه وملزوماته - من دون أن يستعمل اللفظ فيها - التي لن تصل إلى إدراكها أفهامنا القاصرة إلّا بعناية من أهل بيت العصمة والطهارة عليهم السلام الذين هم أهل القرآن، فهو الصحيح، وتدلُّنا على ذلك روايات كثيرة تبلغ حدّ التواتر إجمالًا بلا ريب: منها: "أنَّ القرآن حيٌّ لم يمت، وأنَّه يجري كما يجري الليل والنَّهار، وكما تجري الشمس والقمر، ويجري على آخرنا كما يجري على أوَّلنا". ومنها: «**أنَّ القرآن حيٌّ لا يموت، والآية حيّة لا تموت، فلو كانت الآية إذا نزلت في الأقوام وماتوا ماتت الآية لمات القرآن، ولكن هي جارية في الباقين كما جرت في الماضين**». ومنها: «**لو أنّ الآية إذا نزلت في قوم ثمّ مات أولئك ماتت الآية لما بقي من القرآن شيء، ولكنّ القرآن يجري أوّله على آخره ما دامت السماوات والأرض، ولكل قوم آية يتلونها، هم منها من خير أو شرّ**». ومن هنا قد ورد في روايات عدّة: أنَّ الآية من القرآن إذا فُسِّرت في شيء فلا تنحصر الآية به، وهو كلام متّصل ينصرف على وجوه. و"**أنَّ القرآن ذلول ذو وجوه فاحملوه على أحسن الوجوه**". وهذا معنى: أنَّ للقرآن بطونًا لن تصل إليها أفهامنا القاصرة إلَّا بتوجيه من أهل البيت عليهم السلام كما وجّهنا إليها في بعض الموارد. وقد دلّت على ذلك المعنى روايات كثيرة واردة من طرق العامّة والخاصّة. ومن أراد الاطِّلاع على مجموع هذه الروايات في

جميع هذه الأبواب فليطلبها من مصادرها. وفي بعض الروايات إشارة الى صغرى هذه الكبرى، وهو ما ورد: "أنّ القرآن ظاهره قصّة وباطنه عِظة"، فإنّه في الظاهر بين قصص السابقين وقضاياهم؛ كقصّة بني إسرائيل وما شاكلها، ولكنَّها في الباطن عظة للناس وعبر ودروس لهم، فإنَّ التأمُّل في القضايا الصادرة عن الأمم السابقة دروس وعبر لنا. وينبُّهنا على أنَّ السير على منهاجه ينجينا عن الضلال، وأنَّ الكفر بنعم الله تعالى يوجب السخط على الكافرين والعاصين. وعلى الجملة: إنّ قصص الكتاب في الظاهر وإن كانت حكايات وقصصًا إلّا أنَّها في الباطن دروس وعِبَر للناس"[1].

4. رأي الإمام الخمينيّ قدس سره:

يقول الإمام الخمينيّ قدس سره: "ما ورد من أنَّ للقرآن سبعين بطنًا فمن غوامض الكلام، لايقف على مغزاه إلاَّ الخائض في لحجج العلم وبحار المعارف فليطلب عن مواضعه"[2].

ولعلّه يمكن فهم مراد السيّد الإمام قدس سره من كلامه، حيث قال: "نزل هذا الكتاب في محيط وعصر يُعتبر من أحلك الفترات ظلامًا... ويتضمّن هذا الكتاب معارف وحقائق ليس لها سابقة في هذا العصر، فضلًا عن عصر النزول، وإنّ أكبر معجزة له هو اشتماله على المسائل العرفانيّة الكبرى التي لا وجود لها عند اليونان وفلاسفتهم والتي عجز فلاسفة ذلك العصر كأفلاطون وأرسطو(أكبر فلاسفة ذلك العصر) عن الوصول إليها"[3].

وقال: "فمراتب التّنزيل سبعة كما أنّ مراتب التّأويل سبعة؛ وهي بعينها بطون القرآن إلى سبعة أبطن إجمالاً وسبعين تفصيلًا، بل سبعين ألف، وباعتبار لا حدّ له يقف عنده. والعالم بالتّأويل من له حظّ من المراتب،

(1) الفيّاض، محاضرات في أصول الفقه، م.س، ج1، ص219.
(2) السبحانيّ، جعفر: تهذيب الأصول، ط1، طهران، مؤسّسة تنظيم ونشر آثار الإمام الخمينيّ، 1423هـ.ق، ج1، ص137.
(3) امام خميني، جلوه هاى رحمانى، ص24.

فبمقدار تحقّقه بالمراتب له حظّ من التّأويل إلى أن ينتهي إلى غاية الكمال الإنسانيّ ومنتهى مراتب الكمال، فيصير عالمًا بجميع مراتب التّأويل، فهو كما يتلو الكتاب من الصّحيفة المباركة الحسّيّة الّتي بين أيدينا يقرأ من صحيفة عالم المثال وعالم الألواح والأرواح إلى العلم الأعلى إلى حضرة التّجلّي إلى حضرة العلم إلى الأسم الأعظم، وهوالرّاسخ فى العلم؛ وإنّما يعرف القرآن من خُوطب به"[1].

وبقي رأي الشيخ ناصر مكارم الشيرازيّ الذي أورده في كتابه "أنوار الأصول"، ولكن آثرنا أن ندخله ضمن آراء المفسّرين؛ لأنَّ الشيخ (حفظه الله) يعدُّ مفسرًا أكثر من كونه أصوليًّا.

رابعًا: آراء المفسّرين في بطون الآيات القرآنيّة:

1. رأي الشيخ الطوسيّ في تفسيره:

قال الشيخ في التبيان: "فأمّا مارُوي عن النبيّ ﷺ أنّه قال: "**ما نزل من القرآن من آية إلّا ولها ظهر وبطن**". وقد رواه أيضًا أصحابنا عن الأئمة عليهم السلام، فإنّه يحتمل ذلك وجوهًا:

أحدها: ماروي في أخبارنا عن الصادقين عليهما السلام. وحكي ذلك عن أبي عبيدة أنّ المراد بذلك القصص بأخبار هلاك الأوّلين وباطنها عِظة للآخرين.

والثاني: ما حُكي عن ابن مسعود أنّه قال: [ما من آية إلّا وقد عمل بها قوم ولها قوم يعملون بها].

والثالث: معناها أنّ ظاهرها لفظها وباطنها تأويلها ذكره الطبريّ واختاره البلخيّ.

(1) الإمام الخمينيّ، تعليقات على شرح فصوص الحكم، ص50.

والرابع: ما قاله الحسن البصريّ: [إنك إذا فتشت عن باطنها وقسته على ظاهرها وقفت على معناها]"[1].

2. بطون الآيات عند الشيخ الطبرسيّ:

ذكر الشيخ في تفسيره هذه الرواية: "روي عن أمير المؤمنين عليه السلام قال: **قال رسول الله صلى الله عليه وآله: إنّ الله تعالى قال لي: يا محمّد ﴿وَلَقَدْ ءَاتَيْنَٰكَ سَبْعًا مِّنَ ٱلْمَثَانِى وَٱلْقُرْءَانَ ٱلْعَظِيمَ﴾، فأفرد الامتنان عليّ بفاتحة الكتاب وجعلها بإزاء القرآن، وإنّ فاتحة الكتاب أشرف ما في كنوز العرش، وإنّ الله خصّ محمّدًا وشرّفه بها ولم يشرك فيها أحدًا من أنبيائه ما خلا سليمان فإنّه أعطاه منها «بِسْمِ اللَّهِ الرَّحْمنِ الرَّحِيمِ» ألا تراه يحكي عن بلقيس حين قالت ﴿إِنِّىٓ أُلْقِىَ إِلَىَّ كِتَٰبٌ كَرِيمٌ ۝٢٩ إِنَّهُۥ مِن سُلَيْمَٰنَ وَإِنَّهُۥ بِسْمِ ٱللَّهِ ٱلرَّحْمَٰنِ ٱلرَّحِيمِ﴾ ألا فمن قرأها معتقدًا لموالاة محمّد وآله منقادًا لأمرها. مؤمنًا بظاهرها وباطنها. أعطاه الله بكل حرف منها حسنة كلّ واحدة منها أفضل له من الدنيا بما فيها من أصناف أموالها وخيراتها، ومن استمع إلى قارئ يقرؤها كان له قدر ثلث ما للقارىء، فليستكثر أحدكم من هذا الخير المعرض له فإنّه غنيمة. لا يذهبن أوانه فتبقى في قلوبكم الحسرة"**[2].

وبالتالي يكون الشيخ الطبرسيّ من المثبتين لبطون الآيات القرآنيّة، ولكنَّه لم يُشِر إلى أيّ مورد من موارده تطبيق البطون في تفسيره (حسب ما استقصيناه).

3. رأي الملّا صدرا:

قال الملّا صدرا إنَّ القرآن: "ينقسم إلى سرّ وعلن، ولكلّ منهما ظهر وبطن، ولبطنه بطن آخر إلى أن يعلمه الله، ولعلانيّته علانية أخرى إلى أن

(1) الطوسيّ، تفسير التبيان، ج1، ص10.
(2) م.ن، ج1، ص89.

تدركه الحواسّ وأهلها. أمّا ظاهر علنه، فهوالمصحف المحسوس الملموس والرقم المنقوش الممسوس. وأمّا باطن علنه، فهوما يدركه الحسّ الباطن ويستثبته القرّاء والحفّاظ في خزانة محفوظاتهم كالخيال ونحوه. وهاتان المرتبتان من القرآن أوّليّتان دنيويّتان، ممّا يدركه كلّ إنسان. وأمّا باطنه وسرّه فهما مرتبتان أُخرويّتان، لكلّ منهما درجات"[1].

حيث صار إلى تعداد بعضها، وذكر تقسيمات لبطون القرآن، هي تعبير عن حقائق وجوديّة، ثمّ قال: "فإذا تقرّر هذا، ثبت أنّ للقرآن منازل ومراتب، كما للإنسان درجات ومعارج، فلابدّ لمسّ القرآن في كلّ مرتبة ودرجة من طهارة وتجرّد عن بعض العلايق. وبالجملة للقرآن درجات، وكذلك للإنسان بحسبها، ولكلّ درجة من درجاته حَمَلة يحملونه وحفظة يحفظونه، ولا يمسّونه إلاّ بعد طهارتهم عن حدثهم أو حدوثهم، وتقدّسهم عن شواغل مكانهم أو إمكانهم، وأدنى المنازل في القرآن ما في الجلد والغلاف، كما أنّ أدون الدرجات للإنسان هو ما في الجلدة والبشرة"[2].

4. رأي السيّد الطباطبائيّ قدس سره في بطون الآيات:

قال السيّد الطباطبائيّ قدس سره مبيّنًا ما يراه من معنى لبطون الآيات القرآنيّة: "الظهر والبطن أمران نسبيّان، فكلّ ظهر بطن بالنسبة إلى ظهره وبالعكس... وفي تفسير الصافي، عن عليّ عليه السلام: **"ما من آية إلّا ولها أربعة معان: ظاهر وباطن وحدّومطلع، فالظاهر التلاوة، والباطن الفهم، والحد هوأحكام الحلال والحرام، والمطلع هو مراد الله من العبد بها.** أقول: المراد بالتلاوة ظاهر مدلول اللفظ، بدليل أنّه عليه السلام عدّه من المعاني، فالمراد بالفهم في تفسيره الباطن ما هو في باطن الظاهر من المعنى، والمراد بقوله: هو أحكام الحلال والحرام ظاهر المعارف المتلقّاة من القرآن

(1) الشيرازيّ، صدر المتألّهين: تفسير القرآن الكريم، ط1، بيروت، دار التعارف، ج7، ص90.
(2) م.ن، ج.ن، ص93.

في أوائل المراتب أو أواسطها في مقابل المطلع الذي هو المرتبة العليا، والحدّ والمطلع نسبيّان؛ كما أنّ الظاهر والباطن نسبيّان؛ كما عرفت فيما تقدّم، فكلّ مرتبة عليا هي مطلع بالنسبة إلى السفلى. والمطلع إمّا بضمّ الميم وتشديد الطاء وفتح اللام اسم مكان من الاطلاع، أو بفتح الميم واللام وسكون الطاء اسم مكان من الطلوع، وهومراد الله من العبد بها كما ذكره عليه السلام. وقد وردت هذه الأمور الأربعة في النبويّ المعروف هكذا: "**إنّ القرآن أُنزل على سبعة أحرف، لكلّ آية منها ظهر وبطن ولكن حدّ مطلع**". وفي رواية: "**ولكلّ حدّ ومطلع**". ومعنى قوله صلى الله عليه وآله: "**ولكلٍّ حدٍّ مطلعٌ**" على ما في إحدى الروايتين: أنّ لكلّ واحد من الظهر والبطن الذي هو حدّ مطلع يشرف عليه، هذا هو الظاهر، ويمكن أن يرجع إليه ما في الرواية الأخرى: ولكلّ حدّ ومطلع بأن يكون المعنى: ولكلٍّ منهما حدّ هو نفسه ومطلع، وهو ما ينتهي إليه الحدّ، فيشرف على التأويل، لكن هذا لا يلائم ظاهرًا ما في رواية عليّ عليه السلام: "**ما من آية إلّا ولها أربعة معان...**"؛ إلّا أن يُراد أنّ لها أربعة اعتبارات من المعنى، وإن كان ربما انطبق بعضها على بعض. وعلى هذا فالمتحصّل من معاني الأمور الأربعة: أنّ الظهر هو المعنى الظاهر البادئ من الآية، والباطن هو الذي تحت الظاهر سواء كان واحدًا أو كثيرًا، قريبًا منه أو بعيدًا بينهما واسطة، والحدّ هو نفس المعنى سواء كان ظهرًا أو بطنًا، والمطلع هو المعنى الذي طلع منه الحدّ وهو بطنه متّصلًا به فافهم". وفي الحديث المرويّ من طرق الفريقين عن النبيّ صلى الله عليه وآله: "**أنزل القرآن على سبعة أحرف**". أقول: والحديث وإن كان مرويًّا باختلاف ما في لفظه، لكن معناها مرويّ مستفيضًا والروايات متقاربة معنى، روتها العامّة والخاصّة. وقد اختلف في معنى الحديث اختلافا شديدًا ربما أنهي إلى أربعين قولًا، والذي يهوّن الخطب أنّ في نفس الأخبار تفسيرًا لهذه السبعة الأحرف، وعليه التعويل. ففي بعض الأخبار: "**نزل القرآن على سبعة أحرف- أمر وزجر وترغيب وترهيب وجدل وقصص ومثل**"، وفي بعضها:

"**زجر وأمر وحلال وحرام ومحكم ومتشابه وأمثال**". وعن عليّ عليه السلام: "أنّ الله أنزل القرآن على سبعة أقسام، كلّ منها كاف شاف، وهي أمر وزجر وترغيب- وترهيب وجدل ومثل وقصص". فالمتعيّن حمل السبعة الأحرف على أقسام الخطاب وأنواع البيان، وهي سبعة على وحدتها في الدعوة إلى الله وإلى صراطه المستقيم، ويمكن أن يستفاد من هذه الرواية حصر أصول المعارف الإلهيّة في الأمثال فإنّ بقيّة السبعة لا تلائمها إلّا بنوع من العناية على ما لا يخفى"[1].

الروايات التي ذكر صاحب الميزان أنّها من قبيل البطن للآية:

صار من المعلوم أنَّ السيّد الطباطبائيّ يثبت البطون للآيات القرآنيّة، وما ذكره من أمر البطون في تفسيره ينحصر ببعض الروايات، حيث يرى أنَّ بعض الروايات الناظرة لبعض ألفاظ الآية القرآنيّة هي من المعاني الباطنيّة لها.

وقد أحصينا هذه الموارد في تفسير الميزان، فوجدناها عشرة موارد؛ هي:

- الرواية الأولى: حَدَّثَنَا عَبْدُ اللَّهِ بْنُ عَامِرٍ عَنْ أَبِي عَبْدِ اللَّهِ الْبَرْقِيِّ عَنِ الْحُسَيْنِ بْنِ عُثْمَانَ عَنْ مُحَمَّدِ بْنِ الْفُضَيْلِ عَنْ أَبِي حَمْزَةَ قَالَ: سَأَلْتُ أَبَا جَعْفَرٍ عليه السلام عَنْ قَوْلِ اللَّهِ تَبَارَكَ وتَعَالَى: ﴿وَمَن يَكۡفُرۡ بِٱلۡإِيمَٰنِ فَقَدۡ حَبِطَ عَمَلُهُۥ وَهُوَ فِي ٱلۡأٓخِرَةِ مِنَ ٱلۡخَٰسِرِينَ﴾، قَالَ: "**تَفْسِيرُهَا فِي بَطْنِ الْقُرْآنِ يَعْنِي مَنْ يَكْفُرْ بِوَلَايَةِ عَلِيٍّ وعَلِيٌّ هُو الْإِيمَانُ**"[2].

قال السيّد الطباطبائيّ معلّقًا على هذه الرواية: "أقول: هو من البطن المقابل للظهر بالمعنى الذي بيّناه في الكلام على المحكم والمتشابه في الجزء الثالث من الكتاب ويمكن أن يكون من الجري والتطبيق على

(1) الطباطبائيّ، محمّد حسين: الميزان في تفسير القرآن، لا ط، قم، مؤسّسة النشر الإسلاميّ التابعة لجماعة المدرّسين بالحوزة، لات، ج3، ص73.
(2) الصفّار، بصائر الدرجات، م.س، ص76.

المصداق، وقد سمّى رسول الله ﷺ عليًّا عليه السلام إيمانًا حينما برز إلى عمروبن عبد ود يوم الخندق، حيث قال ﷺ: **"برز الإيمان كلّه إلى الكفر كلّه»،وفي هذا المعنى بعض روايات أخر"**[1].

- الرواية الثانية: الْحُسَيْنُ بْنُ مُحَمَّدٍ عَنْ مُعَلَّى بْنِ مُحَمَّدٍ عَنِ الْوَشَّاءِ قَالَ: سَأَلْتُ الرِّضَا عليه السلام عَنْ قَوْلِ اللَّهِ تَعَالَى: ﴿وَعَلَٰمَٰتٖۚ وَبِٱلنَّجۡمِ هُمۡ يَهۡتَدُونَ﴾، قَالَ: **"نَحْنُ الْعَلَامَاتُ والنَّجْمُ رَسُولُ اللَّهِ** ﷺ"[2].

قال السيّد الطباطبائيّ معلّقًا على هذه الرواية: "أقول: ورواه أيضًا بطريقين آخرين عنه وعن الرضا عليه السلام، ورواه العياشيّ والقمّيّ في تفسيريهما، والشيخ في أماليه، عن الصادق عليه السلام. وليس بتفسير وإنّما هو من البطن، ومن الدليل عليهما رواه الطبرسيّ في المجمع، قال: قال أبو عبد الله عليه السلام: **"نحن العلامات والنجم رسول الله** ﷺ**-ولقد قال: إن الله جعل النجوم أمانًا لأهل السماء- وجعل أهل بيتي أمانًا لأهل الأرض"**[3].

- الرواية الثالثة: جاء في تفسير القمّيّ: "قوله: ﴿وَلَوِ ٱتَّبَعَ ٱلۡحَقُّ أَهۡوَآءَهُمۡ لَفَسَدَتِ ٱلسَّمَٰوَٰتُ وَٱلۡأَرۡضُ وَمَن فِيهِنَّۚ﴾، قال: الحق رسول الله ﷺ وأمير المؤمنين عليه السلام. والدليل على ذلك قوله: ﴿قَدۡ جَآءَكُمُ ٱلرَّسُولُ بِٱلۡحَقِّ مِن رَّبِّكُمۡ﴾؛ يعني بولاية أمير المؤمنين عليه السلام وقوله: «ويَسْتَنْبِئُونَكَ»؛ أي يا محمّد أهل مكّة في عليّ «أَحَقٌّ هُوَ» إمام هو، «قُلْ إِي ورَبِّي إِنَّهُ لَحَقٌّ»؛ أي لإمام، ومثله كثير- والدليل على أنّ الحقّ رسول الله ﷺوأمير المؤمنين عليه السلام قول الله عز وجل: ولواتّبع الحقّ (رسول الله ﷺوأمير المؤمنين عليه السلام أهواءهم (قريشًا) لَفَسَدَتِ السَّماواتُ والْأَرْضُ ومَنْ فِيهِنَ، ففساد السماء إذا لم تمطر، وفساد الأرض إذا لم تنبت، وفساد الناس في

(1) الطباطبائيّ، تفسير الميزان، م.س، ج5، ص218.
(2) الكلينيّ، محمّد بن يعقوب: أصول الكافي، طهران، دار الكتب الإسلاميّة، 1365هـ.ق، ج1، ص207.
(3) الطباطبائي،تفسير الميزان، م.س، ج12، ص225.

ذلك"[1].

قال السيّد الطباطبائيّ: "أقول: هو من البطن بالمعنى الذي تقدّم في بحث المحكم والمتشابه ونظيره ما أورده في قوله: ﴿وَإِنَّكَ لَتَدۡعُوهُمۡ إِلَىٰ صِرَٰطٖ مُّسۡتَقِيمٖ﴾، قال: إلى ولاية أمير المؤمنين عليه السلام، وكذا ما أورده في قوله: ﴿عَنِ ٱلصِّرَٰطِ لَنَٰكِبُونَ﴾، قال: عن الإمام لحادون"[2].

- الرواية الرابعة: حَدَّثَنَا مُحَمَّدُ بْنُ الْحُسَيْنِ عَنْ نَضْرِ بْنِ شُعَيْبٍ عَنْ مُحَمَّدِ بْنِ الْفَضْلِ عَنْ أَبِي حَمْزَةَ الثُّمَالِيِّ قَالَ: سَأَلْتُ أَبَا جَعْفَرٍ عليه السلام عَنْ قَوْلِ اللَّهِ عَزَّ وجَلَ: ﴿وَمَنۡ أَضَلُّ مِمَّنِ ٱتَّبَعَ هَوَىٰهُ بِغَيۡرِ هُدٗى مِّنَ ٱللَّهِۚ﴾، قَالَ: **"عَنَى اللَّهُ بِهَا مَنِ اتَّخَذَ دِينَهُ رَأْيَهُ مِنْ غَيْرِ إِمَامٍ مِنْ أَئِمَّةِ الْهُدَى"**[3].

وقد أفاد السيّد الطباطبائيّ أنّ هذا المعنى هو من قبيل التطبيق أو البطن[4].

- الرواية الخامسة:

جاء في تفسير القمي: "حَدَّثَنِي أَبِي عَنِ النَّضرِ بْنِ سُوَيْدٍ عَنْ يَحْيَى الْحَلَبِيِّ عَنْ عَبْدِ الْحَمِيدِ الطَّائِيِّ عَنْ أَبِي خَالد الْكَابُلِيِّ عَنْ عَلِيِّ بْنِ الْحُسَيْنِ عليه السلام فِي قَوْلِهِ: ﴿إِنَّ ٱلَّذِي فَرَضَ عَلَيۡكَ ٱلۡقُرۡءَانَ لَرَآدُّكَ إِلَىٰ مَعَادٖۚ﴾، قَالَ: **"يَرْجِعُ إِلَيْكُمْ نَبِيُّكُمْ** صلى الله عليه وآله وسلم **وَأَمِيرُ الْمُؤْمِنِينَ** عليه السلام **وَالْأَئِمَّةُ** عليهم السلام "[5].

وقد رجّح السيّد الطباطبائيّ أن تكون استفادة هذا المعنى من الآية هو من قبيل البطن، وليس من قبيل التفسير[6].

(1) القمي، تفسير القمي، م.س، ج2، ص92.
(2) الطباطبائي، تفسير الميزان، م.س، ج16، ص57.
(3) الصفار، بصائر الدرجات، م.س، ج1، ص13.
(4) انظر: الطباطبائي، تفسير الميزان، م.س، ج16، ص57.
(5) القمّيّ، تفسير القمّيّ، م.س،ج2، ص147.
(6) انظر: الطباطبائيّ، تفسير الميزان، م.س، ج16، ص95.

- الرواية السادسة: في تفسير القمّيّ: "قوله تعالى: ﴿وَٱلنَّجۡمِ إِذَا هَوَىٰ﴾، قال: "**النجم رسول الله ﷺ، «إذا هَوى»؛ لمّا أسري به إلى السماء وهو في الهوي**"[1].

قال السيّد الطباطبائيّ: "وروي تسميته ﷺ بالنجم؛ بإسناده عن أبيه عن الحسين بن خالد عن الرضا عليه السلام؛ وهو من البطن"[2].

- الرواية السابعة: في الدر المنثور: "**أخرج ابن مردويه عن ابن عبّاس: في قوله:** ﴿مَرَجَ ٱلۡبَحۡرَيۡنِ يَلۡتَقِيَانِ﴾، **قال: علي وفاطمة،** ﴿بَيۡنَهُمَا بَرۡزَخٞ لَّا يَبۡغِيَانِ﴾، **قال: النبيّ** ﷺ، ﴿يَخۡرُجُ مِنۡهُمَا ٱللُّؤۡلُؤُ وَٱلۡمَرۡجَانُ﴾، **قال: الحسن والحسين**".

قال السيّد الطباطبائيّ: "ورواه أيضًا عن ابن مردويه عن أنس بن مالك مثله، ورواه في مجمع البيان، عن سلمان الفارسيّ وسعيد بن جبير وسفيان الثوريّ؛ وهو من البطن"[3].

- الرواية الثامنة: جاء في كتاب الكافي: "﴿يُرِيدُونَ لِيُطۡفِـُٔواْ نُورَ ٱللَّهِ بِأَفۡوَٰهِهِمۡ﴾، وقوله: ﴿هُوَ ٱلَّذِيٓ أَرۡسَلَ رَسُولَهُۥ بِٱلۡهُدَىٰ وَدِينِ ٱلۡحَقِّ﴾، "**تذكر أنّ النور والهدى ودين الحقّ ولاية أمير المؤمنين** عليه السلام"[4].

قال السيّد الطباطبائيّ: "وهي من الجري والتطبيق، أومن البطن، وليست بمفسِّرة"[5].

- الرواية التاسعة: في تفسير فرات الكوفيّ: "قَالَ حَدَّثَنَا جَعْفَرُ بْنُ مُحَمَّدٍ الْأَوْدِيُّ، مُعَنْعَنًا عَنْ جَعْفَرِ بْنِ مُحَمَّدٍ عليه السلام [في] قَوْلِهِ تَعَالَى: ﴿يُدۡخِلُ مَن يَشَآءُ فِي رَحۡمَتِهِۦۚ﴾، قَالَ: أَبُو جَعْفَرٍ عليه السلام: "**وَلَايَةُ عَلِيِّ بْنِ أَبِي طَالِبٍ** عليه السلام".

(1) القمّيّ، تفسير القمّيّ، م.س، ج2، ص333.
(2) الطباطبائيّ، تفسير الميزان، م.س، ج19، ص33.
(3) م.ن، ج.ن، ص103.
(4) انظر: الكلينيّ، الكافي، م.س، ج1، ص196
(5) الطباطبائيّ، تفسير الميزان، م.س، ج19، ص257.

قال السيّد الطباطبائيّ: "وهو من الجري أو البطن، وليس من التفسير في شيء"[1].

- الرواية العاشرة: ورد في كتاب الكافي، وفي غيره من الكتب؛ كتفسير القمّيّ، وتفسير فرات الكوفيّ، وفي بصائر الدرجات الرواية التالية: مُحَمَّدُ بْنُ يَحْيَى عَنْ أَحْمَدَ بْنِ مُحَمَّدٍ عَنْ مُحَمَّدِ بْنِ أَبِي عُمَيْرٍ أَوغَيْرِهِ عَنْ مُحَمَّدِ بْنِ الْفُضَيْلِ عَنْ أَبِي حَمْزَةَ عَنْ أَبِي جَعْفَرٍ عليه السلام قَالَ: "قُلْتُ لَهُ جُعِلْتُ فِدَاكَ إِنَّ الشِّيعَةَ يَسْأَلُونَكَ عَنْ تَفْسِيرِ هَذِهِ الْآيَةِ: ﴿عَمَّ يَتَسَاءَلُونَ ۝١ عَنِ النَّبَإِ الْعَظِيمِ﴾، قَالَ: **ذَلِكَ إِلَيَّ إِنْ شِئْتُ أَخْبَرْتُهُمْ وإِنْ شِئْتُ لَمْ أُخْبِرْهُمْ، ثُمَّ قَالَ: لَكِنِّي أُخْبِرُكَ بِتَفْسِيرِهَا. قُلْتُ:** ﴿عَمَّ يَتَسَاءَلُونَ﴾، **قَالَ: فَقَالَ: هِيَ فِي أَمِيرِ الْمُؤْمِنِينَ صَلَوَاتُ اللَّه عَلَيْه كَانَ أَمِيرُ الْمُؤْمِنِينَ صَلَوَاتُ اللَّه عَلَيْه يَقُولُ مَا لِلَّه عَزَّ وجَلَّ آيَةٌ هِيَ أَكْبَرُ مِنِّي ولَا لِلَّه مِنْ نَبَإٍ أَعْظَمُ مِنِّي**"[2].

وقد رأى السيّد الطباطبائيّ أنّ هذه الرواية وأمثالها هي من قبيل البطن[3].

5. رأي الشيخ ناصر مكارم الشيرازيّ في بطون الآيات:

قال في أنوار الأصول:"هناك روايات كثيرة وردت في تفسير آيات القرآن ممّا لا يحتمله ظاهره أويعلم أنّه ليس بمراد من ظاهره، مثل تفسير «البحرين» في قوله تعالى ﴿مَرَجَ الْبَحْرَيْنِ يَلْتَقِيَانِ﴾ بأمير المؤمنين وفاطمة عليهما السلام، وتفسير «اللؤلؤ والمرجان» في قوله تعالى ﴿يَخْرُجُ مِنْهُمَا اللُّؤْلُؤُ وَالْمَرْجَانُ﴾ بالحسنين عليهما السلام، وكذلك تفسير «الماء المعين» في قوله تعالى: ﴿أَرَأَيْتُمْ إِنْ أَصْبَحَ مَاؤُكُمْ غَوْرًا فَمَنْ يَأْتِيكُمْ بِمَاءٍ مَعِينٍ﴾ بظهور الحجّة عليه السلام، وتفسير قوله تعالى: ﴿ثُمَّ لْيَقْضُوا تَفَثَهُمْ ﴾ (التفث بمعنى الوسخ) بلقاء الإمام عليه السلام حيث سأل عنه عبدالله بن سنان عن

(1) م.ن، ج20، ص144.
(2) الكلينيّ، الكافي، م.س، ج1، ص207.
(3) انظر: الطباطبائيّ، تفسير الميزان، م.س، ج20، ص163.

الصادق عليه السلام فقال: أخذ الشارب وقصّ الأظفار وما أشبه ذلك، قال: جعلت فداك فإنّ ذريحًا المحاربي حدّثني أنّك قلت: ثمّ ليقضوا تفثهم لقى الإمام... فقال: صدق ذريح وصدقت، إنّ للقرآن ظاهرًا وباطنًا ومن يحتمل ما يحتمل ذريح» إلى غير ذلك من أشباهه.

ولا ريب أنّ الحسنين عليهما السلام ليسا معنىً حقيقيًّا للؤلؤ والمرجان، وكذلك المهديّ (أنفسنا لنفسه الوقاء) ليس مصداقًا حقيقيًّا للماء المعين بل معناه الحقيقيّ هوالمادّة السيّالة المخصوصة، حتّى أنّ الماء المضاف من معانيه المجازيّة فكيف بغيره؟ فلا يبقى هنا مجال إلاّ الاستعمال في أكثر من معنى، كلّ واحد مستقلّ عن الآخر، معنى حقيقيّ ومعنى مجازيّ (وإن كان المجاز هنا أرقى من الحقيقة من حيث الجمال الأدبي وروعة البيان).

إن قلت: لِمَ لا يجوز استعماله في القدر الجامع المشترك بين المعنيين اشتراكًا معنويًّا كأن يقال: إنّ المراد بالماء المعين هو الذي يكون سببًا للحياة، والمراد باللؤلؤ والمرجان هوالشيء النفيس مادّيًا كان أو معنويًّا، وكذلك «التفث» أعمّ من الوسخ الظاهريّ والباطنيّ، فالأوّل يزول بقصّ الأظفار وأخذ الشارب وغيرهما، والثاني بملاقاة الإمام عليه السلام؟

قلنا: أوّلًا: لازم ذلك أن تكون الآيات القرآنيّة محمولة على المجازات كلّها أوجلّها؛ لأنّ جميعها يشتمل على البطون، ومن الواضح أنّ البطن معنى مجازيّ (كاستعمال الماء المعين في المهديّ أرواحنا فداه) واستعمال اللفظ في القدر الجامع بين المعنى الحقيقيّ والمجازيّ استعمال مجازيّ (لأنّ النتيجة تابعة لأخسّ المقدّمتين) ولا يمكن الالتزام بذلك.

وثانيًا: لازم ذلك أن يكون قوله تعالى: ﴿يَخۡرُجُ مِنۡهُمَا ٱللُّؤۡلُؤُ وَٱلۡمَرۡجَانُ﴾ (مثلًا) عامًّا شاملًا لكلّ شيء نفيس، فلا ينحصر بوجود الحسنين عليهما السلام بل يشمل كلّ ما كان ثمينًا معنويًّا، ولا يمكن الالتزام بذلك أيضًا، وكذلك الماء المعين يشمل جميع ما كان سببًا للحياة المعنويّة من العلم والتقوى

والمعرفة، وكلّ إنسان له حظّ من المعنويّات، وهل يلتزم القائل بذلك؟

وإن شئت قلت: الجامع بين خصوص «اللؤلؤ والمرجان» الظاهريّين اللّذين هما المعنى الحقيقيّ لهذين اللّفظين بحسب المتبادر ونصّ أهل اللّغة، وبين وجود الحسنين عليهما السلام بحيث لا يشمل غيرهما، غير موجود، والموجود من القدر الجامع يشمل كلّ موجود له نفاسة وقيمة.

وثالثًا: حمل اللفظ على القدر الجامع بين المصاديق المادّية والمعنويّة (الحقيقيّة والمجازيّة وإن كان المجاز ما فوق الحقيقة) أمر يعرفه كلّ من له خبرة بمعنى الكلمات ولا يختصّ ذلك بالراسخين في العلم من الأئمّة المعصومين عليهم السلام.

ويستفاد من جميع ذلك أنّ البطون ليست سوى معان مستقلّة أُريدت من الكلام إلى جنب المعنى الظاهريّ، وعلمها عند أهلها، فيكون من باب استعمال اللفظ في أكثر من معنى، وإن لم يكن كلّها معان حقيقيّة (فإنّ محلّ الكلام أعمّ).

إن قلت: أولست تقول: إنّ استعمال اللفظ في أكثر من معنى وإن كان جائزًا ولكنّه يحتاج إلى القرينة، ولا نرى قرينة للبطون.

قلنا: نعم، ولكن أُقيمت القرينة لمن قصد إفهامه من اللفظ وهم الأئمّة المعصومون الراسخون في العلم، وإرادة معنى من اللفظ في خطاب جميع الناس وإرادة معنى آخر (مضافًا إلى المعنى الأوّل) لأوحديّ منهم مع إقامة القرائن له فقط ـ لا يعدّ أمرًا مستنكرًا كما لا يخفى"[1].

وبالتالي نجد أنَّ رأي الشيخ مكارم الشيرازيّ موافق لرأي الشيخ الأخوند (أي للرأي الأوَّل فقط) من الرأيين الذين ذكرهما الشيخ الآخوند في الموضوع، وقد أبطل السيّد الخوئيّ قدس سره هذا الرأي بالأدلّة الوافية التي

(1) الشيرازيّ، ناصر مكارم: أنوار الأصول، ط1، قم، مدرسة الإمام عليّ بن أبي طالب، 1424هـ.ق، ج1، ص152.

ذكرناها في كلماته السابقة، فلا داعي للتكرار.

الروايات التي ذكر الشيخ مكارم الشيرازيّ أنَّها من قبيل بطن الآية:

- الرواية الأولى: قال الشيخ في تفسيره: "ورد عن أئمّة أهل البيت عليهم السلام في تفسير ﴿أَيْنَ مَا تَكُونُواْ يَأْتِ بِكُمُ ٱللَّهُ جَمِيعًا﴾ أنّ المقصود بهم أصحاب المهديّ عليه السلام.من ذلك:ما ورد في «روضة الكافي» عن «الإمام الباقر» عليه السلام أنّه تلا الفقرة المذكورة من الآية ثمّ قال: «**يعني أصحاب القائم الثلاثمئة والبضعة عشر رجلًا، وهم واللّه الأمّة المعدودة، قال: يجتمعون واللّه في ساعة واحدة قزع كقزع الخريف**». وروي عن الإمام علي بن موسى الرضا عليه السلام أيضًا: «**وذلك واللّه أن لو قام قائمنا يجمع اللّه إليه جميع شيعتنا من جميع البلدان**»، هذا التّفسير للآية يتحدّث دون شكّ عن «بطن» الآية، والأحاديث ذكرت أنّ لكلام اللّه ظاهرًا لعامّة النّاس، وباطنًا لخاصّتهم. بعبارة أخرى: هذه الروايات تشير إلى حقيقة، هي أنّ اللّه القادر على أن يجمع النّاس من ذرّات التراب المتناثرة في يوم القيامة، لقادر على أنّ يجمع أصحاب المهديّ في ساعة بسهولة، من أجل انقداح الشرارة الأولى للثورة العالميّة الرّامية إلى إقامة حكم اللّه على ظهر الأرض، وإزالة الظلم والعدوان عن وجهها"[1].

- الرواية الثانية: وهي واردة في تفسير قوله تعالى: ﴿وَلَئِنْ أَخَّرْنَا عَنْهُمُ ٱلْعَذَابَ إِلَىٰٓ أُمَّةٍ مَّعْدُودَةٍ لَّيَقُولُنَّ مَا يَحْبِسُهُۥٓ أَلَا يَوْمَ يَأْتِيهِمْ لَيْسَ مَصْرُوفًا عَنْهُمْ وَحَاقَ بِهِم مَّا كَانُواْ بِهِۦ يَسْتَهْزِءُونَ﴾ (هود: الآية 8).

قال الشيخ مكارم: "في روايات عديدة وصلتنا عن أهل البيت عليهم السلام أنّ الأمّة المعدودة تعني النفر القليل، وفيها إشارة إلى أصحاب المهديّ عليه السلام وأنصاره، وعلى هذا يكون معنى الآية: إذا ما أخّرنا العذاب عن الظالمين والمسيئين إلى ظهور المهديّ وأصحابه، فإنّ أولئك الظالمين يقولون: أي

(1) الشيرازيّ، ناصر: الأمثل في تفسير كتاب الله المنزل، قم، مدرسة الإمام عليّ بن أبي طالب عليه السلام، 1421هـ.ق، ج1، ص424.

شيء يقف أمام عذاب اللّه فيحبسه عنّا! ولكن كما قلنا إنّ ظاهر الآية من الأمّة المعدودة هو الزمان المعدود والمعيّن، وقد وردت رواية عن الإمام عليّ عليه السلام في تفسير الأمّة المعدودة تشير إلى ما بيّناه، وهو الزمان المعيّن، فيمكن أن تكون الرّوايات الآنفة تشير إلى المعنى الثّاني من الآية، وهو ما اصطلح عليه بـ «بطن الآية» وطبيعيّ أنّه بمثابة البيان عن القانون الكّليّ في شأن الظالمين، لا أنّه موضوع خاصّ بالمشركين الذين عاصروا النّبيّ صلى الله عليه وآله وسلم ، ونحن نعلم أنّ آيات القرآن تحمل معاني كثيرة مختلفة، فالمعنى الأوّل والظاهر يمكن أن يكون في مسألة خاصّة أو جماعة معيّنة، والمعنى الآخر يكون عامًا مجرّدًا عن الزمان وغير مخصوص بفئة معينة"[1].

خاتمة:

بعد البحث في كلمات الأصوليّين والمفسّرين في بطون الآيات القرآنيّة يمكن أن نستنتج الآتي:

1. الظهر والظاهر في اللغة يشتمل على معنى الانكشاف والوضوح، وفي المقابل فإنَّ البطن والباطن يشتمل على معنى الخفاء والغموض.
2. باستعراضنا لطائفة من الروايات المنقولة عن أهل بيت العصمة والطهارة عليهم السلام ثبت لنا التواتر المعنويّ لموضوع بطون القرآن الكريم، وثبت لنا أنَّ البطن والباطن هو علمٌ وهبه الله للنبيّ محمّد صلى الله عليه وآله وسلم ولأوصيائه عليهم السلام. وقد يكون المراد من البطن ما هو المراد من قاعدة: أنَّ خصوص السبب لا يخصّص الوارد، أو أنَّ المراد منه ما هو المراد من قاعدة الجري والانطباق، أو أنَّ المراد من بطن الآية هو المعنى الدقيق والعميق لها بالنسبة لمعنىً آخر أقلّ عمقًا ودقّة.

(1) م.ن، ج6، ص477.

3. فيما يتعلَّق برأي الأصوليّين في موضوع بطون الآيات القرآنيّة وجدنا أنَّ أجود الآراء وأكثرها متانة الرأي القائل بأنَّ المراد من البطون: لوازم معنى اللفظ وملزوماته -من دون أن يستعمل اللفظ فيها - التي لن تصل إلى إدراكها أفهامنا القاصرة إلّا بعناية من أهل بيت العصمة والطهارة عليهم السلام الذين هم أهل القرآن.

4. وفيما يتعلّق برأي المفسّرين وجدنا أنَّ أمتن الآراء في معنى بطون الآيات القرآنيّة هو الرأي القائل بأنَّ الظهر هو المعنى الظاهر البادئ من الآية، والباطن هو الذي تحت الظاهر سواء أكان واحدًا أم كثيرًا، قريبًا منه أم بعيدًا بينهما واسطة.

5. إنَّ الوصول إلى رؤية أوسع شمولًا وأكثر وضوحًا تحتاج إلى دراسة أطول وقتًا وأبعد عمقًا.